المرأةُ

بين تكريم الإسلام وإهانة الجاهلية

تأليف

محمد بن أحمد إسماعيل المقدّم

عفا الله عنه

دار ابن الجوزي

القاهرة

المرأة بين تكريم الإسلام وإهانة الجاهلية

محمد بن أحمد إسماعيل المقدم





بين تكريم الإسلام وإهانة الجاهلية

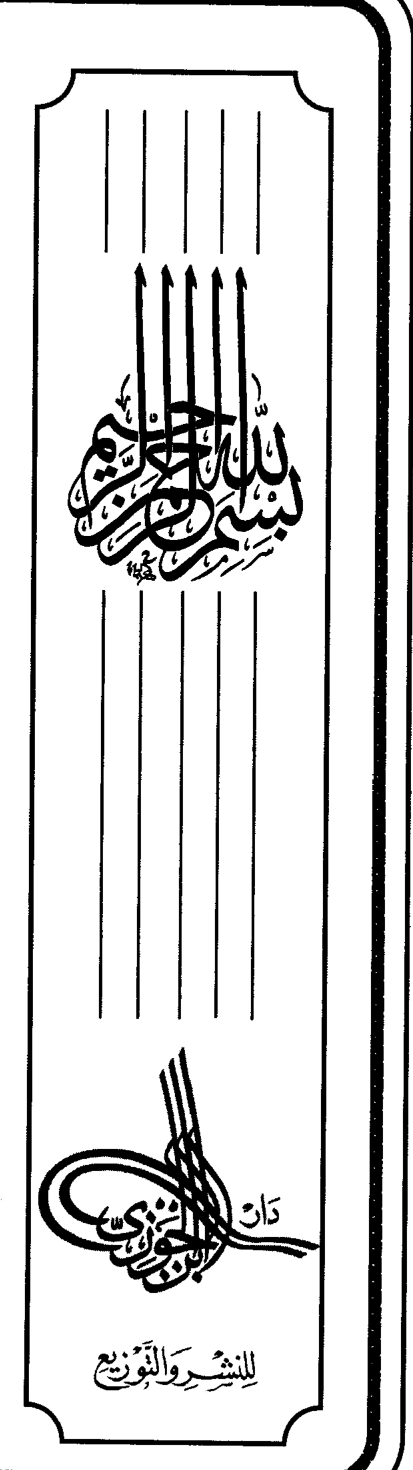
تأليف

محمد بن أحمد إسماعيل المقدم

عفا الله عنه

دار ابن الجوزي

القاهرة



الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م

رقم الإيداع: ٢٠٠٥/٨٧١٣

دار ابن الجوزي

جمهورية مصر العربية
٢٢ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر
القاهرة
ت: ٠٠٢٠٢٥١٤٣١٤١
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٥١١١٧٥٠

أنت نصف الأمة . .

ثم أنك . .

تلدين لنا النصف الآخر . .

فأنت أمة بأسرها . .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الخامسة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على فضله ونعمائه ، والصلاة والسلام على خير أصفيائه ، وعلى آله وصحبه وأوليائه ، وبعد :

فهذه هي الطبعة الخامسة من « المرأة بين تكريم الإسلام وإهانة الجاهلية » وقد أضيف إليها زيادات وتحقيقات نافعة إن شاء الله .

وهذا الكتاب كان قد أُدْرِجَ ضمن مجموعة « عودة الحجاب » مع أن تعلقه به غير مباشر ، وربما كان الدافع إلى ذلك درء ما يدعيه أعداء الإسلام وأدعياؤه من أن الحجاب بمعناه الشرعي الشامل يشل حركتها ، ويعوق رسالتها ، وهذا الزعم مبني على افتراض أن المرأة داخل بيتها خَلِيَّةٌ فارغة ، وهذه الدراسة مما يؤكد بطلان هذه النظرة ، ومناقضتها للحقيقة ، فهي تبين للمنصف أن للمرأة في بيتها وظيفة مقدسة ، ورسالة سامية ، تجعل من هذا البيت قلعة من قلاع العقيدة ، وحصنًا من حصون الإسلام ، وتبين أيضًا مدى الجرم الذي ترتكبه الأمهات والزوجات « الهاربات » من ساحة « جهادهن المقدس » الذي هو « حسن التبعل » و « صناعة الأبطال » و « إعداد أمهات المستقبل » .

إن جوانب عظمة الإسلام لا حصر لها ، وإذا ما جئته من أي النواحي متأمِّلًا ما فيه من الحكمة والإبداع لازددت يقينًا بأن هذا دين الله عز وجل ، ولا يمكن أن يكون غير ذلك ، وهذا الكتاب محاولة لتوكيد هذه الحقيقة من خلال الأحكام التشريعية ، ومن خلال النماذج التطبيقية الواقعية التي

أثمرتها التربية الربانية لخير أمة أخرجت للناس .

والله تبارك وتعالى هو المسئول المرجو الإجابة أن يتقبله بقبول حسن ، وأن ينفع به النفع العميم ، في الدنيا ويوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

الإسكندرية في الأحد
٩/٤/١٤١١ هـ
٢٨/١٠/١٩٩٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

□ الباب الأول □

تمهيد

الحمد لله مستحق الحمد وأهلِه ، ومبين الهدى بإيضاح سبله ، أحمده حمدًا دائمًا بلا فترة ، وأشكره على نعمه التي لا تحصى كثرة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادةً أدخرها نجاة من عذاب الحفرة ، وسلاماً من العدو في العسرة واليسرة .

أحمده على نعماه ، وأصلي على عبده ورسوله محمد الذي اختاره واجتباه ، وأحبه وارتضاه ، وعظَّمه وكرَّمه ، ورفعه على من سواه ..

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبع هداه .

لا يخفى على أي مؤمن صادق ما آل إليه أمر الإسلام وحال المسلمين في زماننا هذا من الغربة ، فالموافق المتابع فيه على وصفه الأول قليل ، والمخالف هو الكثير ، وقد اندرست رسوم كثير من الشرائع أو كادت ، حتى مدَّت الفتن أعناقها ، واستطار شررها ، وعم ضررها ، والتبست الأمور على الجمهور ، فظهر مصداق قول رسول الله ﷺ : « يدرس الإسلام كما يدرس وَشْيُ الثوب ، حتى لا يُدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة »(*) الحديث ، وقوله ﷺ : « بدأ الإسلام غريبًا ، وسيعود كما بدأ ،

(*) قطعة من حديث رواه ابن ماجه (٤٠٤٩) والحاكم في « المستدرك » (٤٧٣/٤) ، وقال : « صحيح على شرط مسلم »، وزاد في « الجامع الصغير » عزوه إلى البيهقي في « الشعب » ، والضياء عن حذيفة رضي الله عنه ، قال السندي : « وفي الزوائد : =

فطوبى للغرباء »[1] .

وفي رواية : « قيل : ومن الغرباء ؟ قال : الذين يصلحون عند فساد الناس »[2] .

وفي رواية للإمام أحمد : « الذين يصلحون إذا فسد الناس »[3] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « طوبى للغرباء ، قالوا : يا رسول الله من هم ؟ قال : أناس صالحون في أناس سوء كثير ، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم »[4] ، وفي رواية :

= إسناده صحيح ، ورجاله ثقات » اهـ . من حاشيته على سنن ابن ماجه (٤٩٨/٢) ، و « درس الرسم دروسًا إذا عفا وهلك ، و« درس الثوب درسًا » إذا صار عتيقًا ، ويؤيد الثاني قوله : « وشي الثوب » أي نقشه .

(١) رواه مسلم رقم (١٤٥) في الإيمان : باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، « وطوبى » : (فُعْلَى من الطيب : أي فرحة ، وقرة عين ، أو سرور وغبطة ، أو الجنة ، أو شجرة في الجنة) اهـ . من « فيض القدير » (٣٢١/٢) .

(٢) أخرجه من حديث عبد الرحمن بن سنة رضي الله عنه عبد الله بن أحمد في « زوائده » (٧٣/٤-٧٤) ، وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » وقال : (رواه عبد الله ، والطبراني ، وفيه إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، وهو متروك) اهـ . (٢٧٨/٧) ، وله شواهد عن عدة من الصحابة رضي الله عنهم ، انظر : « الغرباء » للآجري تحقيق بدر البدر ص (١٥-٢٦) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٧١/٣) ، وابن جرير (١٤٩/١٣) ، وابن حبان (٢٦٢٥ -موارد) ، والخطيب في « تاريخه » (٩١/٤) ، والآجري في « الغرباء » ص (١٦) وفيه ضعف ، ورواه من طريق أخرى الترمذي (١٠٤/٢) ، وقال : « حسن صحيح » ، وانظر : « السلسلة الصحيحة » رقم (١٢٧٣) .

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١٧٧/٢،٢٢٢) ، وابن المبارك في « الزهد » (٧٧٥) ، والآجري في « الغرباء » ص(٢٣) ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » : (وفيه ابن لهيعة ، وفيه ضعف) اهـ . (٢٧٨/٧) ورواه الطبراني بأسانيد قال الهيثمي : (رجال أحدها =

« من يُبْغِضُهم أكثر ممن يحبهم » .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « يأتي على الناس زمان ، الصابر فيه على دينه ، كالقابض على الجمر »[٥] .

قال المناوي رحمه الله : « شبه المعقول بالمحسوس ، أي الصابر على أحكام الكتاب والسنة يقاسي بما يناله من الشدة والمشقة من أهل البدع والضلال مثلَ ما يقاسيه من يأخذ النار بيده ، ويقبض عليها ، بل ربما كان أشد ، وهذا من معجزاته ﷺ ، فإنه إخبار عن غيب ، وقد وقع[٦] .

وقال المباركفوري رحمه الله : (قال الطيبي : « المعنى : كما لا يقدر القابض على الجمر أن يصبر لإحراق يده ، كذلك المتدين يومئذ لا يقدر على ثباته على دينه ، لغلبة العصاة والمعاصي وانتشار الفسق وضعف الإيمان » انتهى ، وقال القاري : « الظاهر أن معنى الحديث : كما لا يمكن القبض على الجمر إلا بصبر شديد وتحمل غلبة المشقة ، كذلك في ذلك الزمان لا يُتَصَوَّرُ حفظُ دينِهِ ونورِ إيمانه إلا بصبر عظيم » انتهى)[٧] اهـ .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن من ورائكم زمانَ صبر ، للمتمسك فيه أَجْرُ خمسين شهيدًا منكم »[٨] .

= رجال الصحيح) اهـ ، وانظر : « فيض القدير » (٤/٢٧٤) .

(٥) رواه الترمذي رقم (٢٢٦١) (٢/٤٢) في « الفتن » : باب رقم (٧٣) ، وفي سنده عمر بن شاكر البصري ، وهو ضعيف كما في « التقريب » (٢/٥٧) ، وقال الترمذي : « هذا حديث غريب من هذا الوجه » ، ورمز له السيوطي بالحسن ، وصححه الألباني بشواهده كما في « السلسلة الصحيحة » رقم (٩٥٧) ، وانظر : تحقيق « جامع الأصول » (١٠/٥) ، و« الغرباء » للآجري ص (٢٦) .

(٦) « فيض القدير » (٢/٤٥٦) .

(٧) « تحفة الأحوذي » (٦/٥٣٩) .

(٨) (أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٣/٧٦/١) ، وإسناده صحيح ، رجاله =

ويُروَى عن أبي أمامة الشعباني قال : سألت أبا ثعلبة الخُشَنيَّ رضي الله عنه قال : قلت : (يا أبا ثعلبة ، كيف تقول في هذه الآية : ﴿ **عليكم أنفسَكم** ﴾ ؟ (المائدة ١٠٥) ، قال : أما والله لقد سألتَ عنها خبيرًا ، سألتُ عنها رسول الله ﷺ فقال : « ائتمروا بالمعروف ، وانتهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيتم شحًّا مطاعًا ، وهوى متبعًا ودُنيا مُؤْثَرة ، وإعجابَ كل ذي رأي برأيه ، فعليك بنفسك ، ودع عنك العوامَّ ، فإن من ورائكم أيامَ الصبرِ ، الصبرُ فيهن كالقبض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم »)[٩] ، زاد أبو داود في حديثه : « قيل : يا رسول الله ، أجر خمسين رجلًا منا أو منهم ؟ قال : بل أجر خمسين رجلًا منكم » .

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « العبادة في الهَرْج كهجرة إليَّ »[١٠] ، قوله : « العبادة في الهرج » أي الفتنة واختلاط أمور الناس ، « كهجرة إليَّ » قال النووي رحمه الله : « وسبب كثرة فضل العبادة فيه أن الناس يغفلون عنها ، ويشتغلون عنها ، ولا يتفرغ لها إلا الأفراد »[١١] اهـ .

= كلهم ثقات رجال مسلم) اهـ من « السلسلة الصحيحة » رقم (٤٩٤) .

(٩) أخرجه الترمذي رقم (٣٠٦٠) في التفسير : باب : (ومن سورة المائدة) ، وقال : (حسن غريب) ، وأبو داود رقم (٤٣٤١) في الملاحم : باب الأمر والنهي ، وابن ماجه رقم (٤٠١٤) في « الفتن » : باب قول الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم** ﴾ ، وابن حبان (١٨٥٠ – موارد) ، (وفيه عتبة بن أبي حكيم الهمداني الشامي ، وثقه غير واحد ، وتكلم فيه غير واحد ، كذا في « تخريج السنن » (١٨٩/٦) ، وانظر : « مجمع الزوائد » (٢٨٢/٧) .

(١٠) أخرجه مسلم رقم (٢٩٤٨) في الفتن : باب فضل العبادة في الهرج ، والترمذي رقم (٢٢٠٢) في الفتن : باب ما جاء في الهرج والعبادة فيه

(١١) «شرح النووي لصحيح مسلم» (٨٨/١٨)، وانظر (تحفة الأحوذي) (٦/٤٤٣–٤٤٥).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : (وجاء تفسير أيام الهرج فيما أخرجه أحمد والطبراني بسند حسن من حديث خالد بن الوليد أن رجلًا قال له : يا أبا سليمان ! اتق الله ، فإن الفتن ظهرت ، فقال : أما وابن الخطاب حيٌّ فلا ، إنما تكون بعده ، فينظر الرجل فيفكر هل يجد مكاناً لم ينزل به مثل ما نزل بمكانه الذي هو به من الفتنة والشر فلا يجد ، فتلك الأيام التي ذكر رسول الله ﷺ بين يدي الساعة أيام الهرج)[١٢] اهـ ، وقال المناوي رحمه الله : (« كهجرة إليَّ » في كثرة الثواب ، أو يقال : المهاجر في الأول كان قليلاً لعدم تمكن أكثر الناس من ذلك ، فهكذا العابد في الهرج قليل ، قال ابن العربي : وجه تمثيله بالهجرة أن الزمن الأول كان الناس يفرون فيه من دار الكفر وأهله إلى دار الإيمان وأهله ، فإذا وقعت الفتن تعيَّن على المرء أن يفر بدينه من الفتنة إلى العبادة ، ويهجر أولئك القوم وتلك الحالة ، وهو أحد أقسام الهجرة)[١٣] اهـ .

---

(١٢) « فتح الباري » (١٣/١٥) .

(١٣) « فيض القدير » (٤/٣٧٣) .

[فصل]

المــرأة

سلاح ذو حدين

أخذت الأرض زخرفها وازينت .. وظن أهلها أنهم قادرون عليها ، وانصرف الناس عن دينهم إليها ، وانقاد السواد الأعظم لغرورها ، وافتتنوا بحضارة الغرب وزخارف الشرق ، وصادف هذا كله غفلة دعاة الحق ، وكتمان البعض – إلا من رَحِمَ الله – ما أنزل الله من البينات والهدى ، لكن أعداء الإسلام لم يغفلوا عنا ، فحملوا بخيلهم ورجلهم ، وجردوا الحملات المسلحة بسهام الشهوات وسموم الشبهات لتعيث في قلوب المسلمين فسادًا ، وتجوس خلال ديارهم ، لتسلخهم من دينهم الحق الذي ارتضى الله لهم .. .

وقد كان هؤلاء الأعداء خبثًا ماكرين ، في حربهم ، إذ تفرسوا في أسباب قوة المسلمين وحدَّدوها ، ثم اجتهدوا في توهينها وتحطيمها بكل ما أوتوا من مكر ودهاء ..

علموا أن المرأة من أعظم أسباب القوة في المجتمع الإسلامي ، وهم يعلمون أيضًا أنها سلاح ذو حدين ، وأنها قابلة لأن تكون أخطر أسلحة الفتنة والتدمير ، ومن هنا كان النصيب الأكبر من حجم المؤامرات التي بدأت بإسقاط الخلافة ، وانتهت – حتى الآن – بأعلامٍ تحمل « نجمة داود » ترفرف في عواصم إسلامية[١٤] .

---

(١٤) وهل أتاك نبأ ما وقع في عهد السلطان العثماني « عبد المجيد » الذي أمر بتعمير القدس سنة ١٨٦٠ م و (كان الوالي المعيَّن من قبله على المدينة – أي القدس – واسمه =

قال محمد طلعت حرب في كتابه « تربية المرأة والحجاب » : (إنه لم يبق حائل يحول دون هدم المجتمع الإسلامي في الشرق – لا في مصر وحدها – إلا أن يطرأ على المرأة المسلمة التحويل .. بل الفساد الذي عَمَّ الرجال في الشرق)[١٥] اهـ .

إن المرأة تملك مجموعة من المواهب الضخمة الجديرة بأن تبني أمة ، وأن تهدم أمة ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الدنيا حُلْوة خَضِرَة ، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، فإن أولَ فتنةِ بني إسرائيل كانت في النساء »[١٦] .

وعن أسامة بن زيد ، وسعيد بن زيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « ما تركت بعدي في الناس فتنة أضرَّ على الرجال من النساء »[١٧] .

وروى أبو نعيم في « الحلية » بسنده عن حسان بن عطية قال : « ما أُتِيَتْ

= « كامل باشا » قد أجاز أن ترفع بعض الدول الأجنبية أعلامها على قنصلياتها فيها ، لأنها كانت قد حاربت في جانب تركيا ضد روسيا القيصرية ، فثار الأهالي ضده ، وأجبروه على العدول عن هذا القرار ، فطويت الأعلام الأجنبية في « القدس » في الحال !) اهـ من « اليهود المغضوب عليهم » ، ص (١٨٢) .

(١٥) نقلًا من « الحركات النسائية في الشرق » ص (١١) .

(١٦) رواه مسلم رقم (٢٧٤٢) في الذكر : باب أكثر أهل الجنة الفقراء ، والترمذي رقم (٢١٩٢) في جملة حديث طويل في « الفتن » : باب ما جاء ما أخبر النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة ، وابن ماجه (٤٠٠٠) في الفتن : باب فتنة النساء ، وانظر : « شرح النووي » (١٧/٥٥) .

(١٧) رواه البخاري (٩/١١٨) في النكاح : باب ما يتقى من شؤم المرأة ، ومسلم رقم

* * *